# نبذ في اخبار الصين

بقلم المستشرق الكبير
صاحب التوقيع

« مأخوذة عن تأليفات أبي الريحان محمد ابن احمد البيروني نقلا عن نسخة خطية بخط المؤلف فرغ من كتابتها في مدينة غزنة لسبع بقين من رجب سنة ٤١٦ هـ وهي محفوظة في خزانة جامع السلطان الفاتح بالقسطنطنية رقم ٣٣٨٦ وهي في غاية الاتقان والصحة »

لقد كان بالقرب من زماننا في ربابنة سيراف[١] دليل عالم بطرق البحر يسمى « مافنا » استأجره بعض النواخذة[٢] بمال كثير الى الصين ، فلما قرب من ابوابها وهي الاودية التي تنصب الى البحر بين شواهقها حالت الريح بينه وبين ولوج الباب المفضي إلى خانفو[٣] وهو اول بلاد الصين وكان مقصده ، فتعلق مافنا بباب آخر مؤدٍ الى غير بلد خانفو وسأله صاحب المركب أن يردّه الى البحر ويقصد به باب خانفو فحذره مافنا حوادث البحر بعد ان سلم منها فأبى الناخذاة وأُعيد المركب الى اللجّة فعصفت عليه ريح اهلكته وطرح مافنا نفسه على خشبة طفت به وبقيَ في البحر ثلاثة أيام بلياليها الى ان اجتاز به من الزابَج[٤] الى الصين سُنبوق[٥] قد ضل طريقه فلوّح لهم مافنا واحتملوه لشهرته

(١) مدينة على ساحل خليج فارس .
(٢) جمع ناخذاة كلمة فارسية بمعنى صاحب السفينة .
(٣) اسم قديم لمدينة CANTON كوانك تنك
(٤) اسم قديم لجزيرة سوماترة Sumatra اه ( للجمع ) او الزابج اسم لجزيرة جاوة وربما كانت جاوه محرفة عن زابج أو يقال ان بينهما اتصالا .
(٥) سفينة ذات شرع من سفائن البحر الهندي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واستبشروا بمكانه وسألوه الارشاد فطلب عليه اجرة وغضب صاحب السنبوق وقال له : اما يقنعك تخليصنا روحك حتى تطالبنا بالأُجرة وانت شريكنا في السلامة ؟ فقال : ما كنت لارشدكم او تعطوني مالاً فالموت عندي ودخولي الصين بهذه الحالة سواء . قال صاحب السنبوق : لئن لم ترشدني لاعيدنك الى حالك ، قال : شأنك ، فقذفوه على تلك الخشبة وساروا واستمر بهم التحير حتى هلكوا . وبقي مافا في البحر يومين حتى اجتاز به سنبوق آخر ضالّ فاستخبروه خبره وعزمه فيهم حين اخبر بامره فقال : طلب الاجرة وإلا فردوني الى اللجّة ، فاعطوه مائة مثقال ذهب واخذ سكّان المركب بيده وطرح البَرْد وهو رصاصة يُسبَر بها مقدار العمق ونتوّ الجبال من القعر ، واستخرج طين القرار وشمه حتى تحقق الموضع وعدل بهم الى الطريق فسلم .

—≻⁎≺—

## تصدير

### نُقِلَ من كتاب الجماهر [1] في معرفة الجواهر

قد فرق البيروني في كتابه هذا بين الرصاص القلعي المسمى بالفرنسوية Etain والأسترُب المسمى plomb واخبران الاول موجود في بلاد الصين مع عدم الآخر ثم قال ولعِزة الاسرب في ارض الصين يستعمل الرصاص القلعي بدله فيما يحتاج اليه منه ، ولهذا يحمل اليها في البضائع . قال بعض تجار البحر : إن من رسمنا أن نحمل للغرباء بضائع نتبرك بذلك وانا في بعض المرات بالأُبلة [2] وقد اصلحنا شأن السُفُن إلى الصين اذ وقف عليّ شيخ وقال : إن لي حاجة قصدتُ بها خيرك فخيّبني فيها وقصدتك واثقاً منك بانك لا تفعل كفعلهم . قال قلت : وما هي ؟ قال . لا أقول حتى تضمَن قضاءها ففعلت واحضر مَصّلة [3] اسربّ نحو المائة منا [4] ثم قال : حاجتي أن تامر بحملها حتى

(١) انا مشتغل بتصحيح وترجمة هذا الكتاب المهم عن ثلاث نسخ كلها غير جيدة وهو وحيد في جنسه

(٢) مرفأ في ساحل البصرة اه . المجمع : وتسمى اليوم العشار

(٣) أي حزمة في قماش

(٤) لم اقف الى الان على مقدار وزنه وقد ذكر البيروني في موضع آخر في تثنيته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إذا بلغت اللجة الفلانية امرت بطرحها في البحر . قلت . لا أفعل . قال . وأين الضمان؟ وما زال بي حتى أخذتها و كتبتها في الروزنامجة [1] باسمه وداره في البصرة . فلما توسطنا البحر انسانا الله عز وجل بعصوف الرياح أنفسنا فضلا عن تلك الرصاصة وبلغنا القصد وبعنا ما معنا فحضر رجل يطلب امر با . فاجبته اني ما حملت منه شيئاً . فذكرني الغلام تلك البضاعة فقلت اخالف الآن الضمان وما عليّ أن أبيعها ؟ فاشتراها الرجل بمائة وثلاثين ديناراً وايتمت لصاحبها طرائف الصين وانصرفنا . ولم ياتني الشيخ فصمدت داره وسألت عنه . فقيل انه توفي . فقلت . هل خلف احداً ؟ فقالوا إن له ابن أخ في بعض نواحي البحر وان داره موقوفة في يد امين القاضي . فتحيرت ورجعت الى الأبلة وبعت تلك البضاعة بسبع مائة دينار . وبين أنا ذات يوم اذ وقف رجل على رأسي وقال لي : انت فلان ؟ قلت نعم . قال كنت خرجت الى الصين وبعت بها مصلة عام أول؟ قلت نعم . قال انا اشتريتها . وقد قطعتها للاستعمال فوجدتها محوفة وفيها اثنا عشر الف دينار وقد جئت بها اليك فخذها . قلت له : زدت ويحك في البلية وليس المال لي وقصصت القصة عليه فتبسم متعجباً وقال : أتعرف الشيخ ؟ قلت : لا الا بما حكيت . قال : هو عمي ليس له وارث غيري و كان يفرط في اعنائي حتى اضطررت إلى الهرب من البصرة منذ سبع عشرة سنة وأراد أن يزوي المال عني فأبى الله الا ما ترى على رغمه فأعطيته السبع مائة دينار وذهب إلى البصرة واستوطن دار عمه في أوسع نعمة وأرغدها .

—>*<—

## تصدير

ورد في كتب أهل الصين انهم اخترعوا الفخار الصيني في القرن الثاني من الهجرة تقريباً ولكن المغول لما فتحوا بلاد الصين في اوائل القرن السابع للهجرة النبوية افسدوا ـ مناوين . (المجمع) لعل صوابه منوان في الرفع ومنوين في الجر والمن بنونين كالمنى بالف مقصورة . قال بعضهم هو رطلان . وفسره بعضهم بقوله المن شرعاً مئة وثمانون مثقالا ، وعرفاً ٢٨٠ مثقالا

(١) أي الدفتر كلمة فارسية بمعنى كتاب يومي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلاد وانه لم يبق من تلك القصاع الصينية شيء البتة لا في الصين ولا في غيرها من البلاد . وهذا يوافق مايوجد الآن في المتاحف من الفخار الصيني اذ كله من عمل الصين بعد طرد المغول من بلادهم . ولهذا يكون خبر البيروني شأن مهم ، لأننا نجد فيه دليلاً على وجود القصاع الصينية في بلاد الاسلام نحو سنة اربعمائة يعني اكثر من قرنين قبل عمل القصاع المحفوظة في المتاحف التي تقومون [1] أثمانًا فوق الحصر . ورجائي في نشر هذه النبذة من كتاب الجماهر ان من يرى هذا الخبر في مجلة المجمع العلمي يفتش في بلاد الفرس وغيرها من بلاد الاسلام هل بقي شيء من تلك الذخائر الفاخرة ولو كانت مكسورة ؟ والبيروني بعد ان فرغ من صفات الجواهر المعدنية مثل الياقوت والماس والبلور وغيرها أورد صفات الجواهر المصنوعة فذكر الزجاج والمينا الذي هو نوع من الزجاج يخلط من الاسرب وهذا المينا كان معمولاً من حصى خاصة مثل الفخار الصيني التي يقال لها في لغة الفرنج والالمان Feldspat وهي حصى بلورية في غاية الصفاء لا توجد الا في اماكن قليلة في الصين والمانية : وهذا ماقاله البيروني في كتاب الجماهر

—≻⁎≺—

## ذكر القصاع الصينية

قد يعمل هاهنا [2] من المروة المخلصة المذكورة في المينا بخلط من الاطيان الا انها نبطية [3] هجينة غير صريحة . وسمعت في الصينية الخالصة انهم اذا انعموا تهيبة [4] المروة والتي [5] لهم افضل مما لغيرهم فقد وصفوها بشفاف كشفاف البلور ، طرحوها في اوعية معمولة من جلود الجواميس وأخذ الفعلة في دوسها بالارجل وهي رطبة كل واحد مدة معلومة

(١) المجمع : كذا ، ولعل صحة عبارته : التي تقوم اثمانها بما فوق الحصر .

(٢) يعني في خراسان

(٣) يعني غير جيدة

(٤) هامش الاصل : التهيبة غاية النعومة في السحق من الهباء . (المجمع) : لم ترد في معاجم اللغة بهذا المعنى ولعلها مما دخل في صدر الاسلام من الكلمات الفنية الاصطلاحية

(٥) المجمع : قوله : والتي لهم الى قوله البلور جملة اعتراضية طويلة فيها لذلك شيء من ضعف السبك والتأليف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم ينقلها عند تمام المدة الى آلة صاحبه الذي يليه فيأخذ هو في مثله وتدور النوبة بالعمل والراحة فيما بينهم والغرض [١] فيها ان لا تتعطل لحظة من الدوس فانها تجمد وتفسد وهكذا الى ان تدرك كما يراد لزجاً متمدداً كالعجين وتعجن بكلس الرصاص القلعي المحرَق . وربما يعمل منه القصاع فاذا يبست أُشرِب ظواهرها وبواطنها بذلك الكلس ثم أُدخلت الأتون . ذكر بار بنال [٢] الصابئ ان هذه القصاع يرتفع القائق منها من بلد يَنكجوه [٣] من بلدانهم وزاد بعض المخبرين انه اذا بلغ غايته جعلوه في حياض ويديمون تحريكه بالاقدام من عشر سنين الى مائة وخمسين يتوارثونه [٤] وربما مكث اربعمائة سنة . وانها تكون كالزجاج اذا انكسرت ذوّبوها واعادوا صنعتها . قال الأخوان [٥] خير القصاع الصينية المِشمشية اللون الرقيقة الجرم الصافية ذات الطين الحاد [٦] الممتد بالنقر ثم الرَندي ثم الملمَّع ، وربما بلغت قيمة الواحدة منها عشرة دنانير . وكان لي بالري [٧] صديق من الباعة اصفاني [٨] اضافني في داره فرأيت جميع ما فيها من القصاع والسكرجات والنوفليّات [٩] والاطباق والاكواز والمشارب حتى الأباريق والطسوس والمحارض [١٠]

(١) غرض الدوس اخراج نفاخات الهواء .

(٢) بار بمعنى ابن باللغة السريانية و بنال اسم تركي .

(٣) يَنكجوه مرسى في ساحل الصين اسمه YANG-CHON عند مصب نهر يانك تسي في بحر الصين وهذا يوافق ما قال الصين انفسهم .

(٤) التوارث ايضاً يوافق ما يفعل اهل الصين بالعجين الطيني المستعمل في الفخار لكن ٤٠٠ سنة تقريباً كما لا يخفى .

(٥) كانا جوهريين للسلطان محمود الغزنوي وقد ذكرهما البيروني مرّات في كتابه

(٦) قوله الحاد الممتد ، لعل صوابه الحاد الصوت الممتد

(٧) مدينة كانت في ناحية طهران عاصمة بلاد ايران .

(٨) (المجمع) : كذا ولعله اصفهاني .

(٩) أي مقدمة الخلّ (المجمع) : المقدمة الابريق . والنوفلة بدون ياء المملحة ؛ وأما النوفلية فلها معنى آخر لا يناسب ما هنا .

(١٠) اوعية الحُرض وهو الاشنان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمجامر والمنارات [1] والمسارج وسائر الادوات كلها من خزف صيني فتعجبت من همته في ذلك في التجمل .

## تصدير

للبيروني ايضاً كتاب في المفردات سماه كتاب الصيدنة والصيدلة، لعله آخر كتاب ألفه فانه يقول في اوله انه اناف على الثمانين ويا اسفاً لم يبق من هذا الكتاب الا نسخة مبتورة قد سقطت منها اوراق كثيرة ومعها النبذة التي انا هاهنا بصددها . وقد ترجم هذا الكتاب بعضهم الى اللغة الفارسية ونسخة من هذه الترجمة محفوظة في المتحفة البريطانية في لندن وثانية في مكتبة الجامعة الاسلامية في علي كره من بلاد الهند . وقد طالعت هذه النسخة الثانية وقت حضوري في علي كره و يسبق ظني انها مختصرة وكلتا النسختين مشوشتان اما بدخول الماء واما بثقوب الديدان حتى تصعب القراءة جداً ولكن اذ وجدت في هذا الكتاب أول خبر عن الشاي في أي تأليف سوى كتب اهل الصين نفسهم كنت اظن بعض الفائدة في أن اترجم هذا الخبر من الفارسية الى العربية بحسب الطاقة والامكان

جاء [2] هو نوع من انواع النبات ومعدنه في ارض (چين) وهذه الجيم هي التي تعرب بالصاد فيقولون صاء وهم يطبخون هذا النبات ويجعلونه في وعاء مكعب بعد ان يجف وليس له خاصية الا انه ينفع في دفع مضرة الشراب . ولهذا السبب يحملونه الى بلاد التبت اذ انه من عادة اهل تبت الولوع في شرب الخمر وليس لهم دواء انفع لدفع مضرة السكر منه . والذين يحملونه الى ارض تبت لا يأخذون في ثمنه الا المسك : وفي كتاب اخبار الصين ان قيمة هذا النبات مقدار ثلاثين .....[3] وطعمه حلو مع يسير من الحموضة ولكن هذه الحموضة تذهب عند الطبخ ، و يعاطونه بينهم

(١) للجمع : المنارة هنا المسرجة وهي ماينصب عليه السراج .

(٢) إذ لم يكتب في تلك الازمنة الجيم الفارسية بثلاث نقط وليس هذا الحرف في اللغة العربية كتبوه بالصاد مثل الصين وغير ذلك .

(٣) غير واضح في النسخة الخطية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقولون انهم يشربونه بماء سخين يزعمون ان شربه ينفي حرارات البطن وينقي الدم . واخبر بعض من وصل الى منبت هذا النبات في نواحي الصين ان مقر ملكهم في مدينة بنحو [١] وانه في تلك المدينة نهر كبير [٢] على مثال دجلة في بغداد و في شطي هذا النهر بيوت خمّارين ومنازل ومواضع [٣] وهم يشربون الجاء في تلك المواضع كما يشربون النبيذ في بلاد الهند سراً في مواضع معلومة وخراج تلك المواضع يدخل في خزانة الملك وبيع وشراء نبات الجاء محظور على العامة وهما للملك خاصة وحكمهم فيمن يبيع أو يشتري الملح ونبات الجاء بغير اجازة الملك أنه لص وهم يقتلون اللصوص ويأكلون لحمهم [٤] ودخل ( أي خراج ) تلك المواضع المذكورة للملك خاصة مثل دخل معادن الذهب والفضة قال بعضهم في قرابا ذينه [٥] الجاء نبات من أنواع النبات معدنه في بلاد الصين وهم يجعلونه في بلادهم على هيئة اقراص ثم يحملونه إلى الاطراف ( أي الى الخارج ) ويذكرون في سبب معرفته أن ملكا من ملوك الصين غضب على بعض خواصه فأمر باخراجه من حضرته وتقيه وانهم طردوه إلى الجبال وكان هذا الرجل محميا عليلا ثم ذهب يوماً من شدة همومه إلى شماريخ الجبال وكان جائعاً فلم يجد الا هذا الشجر فتغذى بأوراقه وبعد أن اكل منه مدة يسيرة احس برجوع صحته والعافية ، ثم داوم على اكل اوراق الشجر حتى قوي وحسن حاله ثم اتفق أن بعض خواص الملك رآه على تلك الحال لما مرّ به فأخبر الملك بما رأى من تبدل حال ذلك الرجل فتعجب الملك مما قاله وأمر باحضاره فحمل إلى حضرة الملك ، ولما رأى صورته تفاءل بالنظر اليه إذ لم يظهر سبب تبدّل حاله عن التي كان عليها لما نفي عن حضرته فسأله عن سبب صحته وأمره بان يكشف عن سرّه فأقرّ وشرح للملك خاصية أوراق ذلك الشجر وبعد أن سمع الملك خبره عرض النبات للتجربة فوجدوا تمام

(١) Yang - Chou

(٢) Yang - Tse

(٣) لعله يعني بالمواضع المواخير

(٤) كذا ورد : وكوشت او بخورند . وهو غير صحيح

(٥) كناش الادوية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منافعه وعلموها وادخلوا الحباء في عمل الادوية ·

المانيا : كرنكو

المجمع ·— ثم جاءنا من الاستاذ كرنكو صاحب هذا المقال الممتع كتاب قال فيه: أرسلت اليكم في البريد ماخصصته من ثلاثة مؤلفات للعالم العربي الكبير البيروني وقل الذين يعرفون نسبتها اليه · ولم ار ضرورة لاعطاء ايضاحات عن حياة هذا المؤلف واذا كنتم تريدون هذه الايضاحات فيمكن الاعتماد على ما جاء في كتاب ابن ابي اصيبعة من ترجمة المؤلف

واذا وجدتم خطأ في تعليقاتي العربية فأرجو منكم تصحيحها

وقد وصاني من الدكتور مزنهوف ( في القاهرة ) ترجمته لمقدمة ( كتاب الصيدنة[1] ) للبيروني مع نصها العربي وهو يذهب الى أن البيروني توفي نحو سنة ٤٤٢ للهجرة وعمره اذ ذاك ٨٠ سنة وبحسب رأيي ورأي الكثيرين غيري أن البيروني هو من دون جدال أكبر عالم قام في القرون الوسطى وقدفاق ابن سينا والفارابي وغيرهما اه ·

كرنكو

(١) المجمع : كذا بالنون ؛ قال صاحب القاموس « والصيدناني الصيدلاني اه فهما بمعنى واحد » واذا قيل في المصدر « الصيدلة » من « الصيدلاني » باللام فأجدر أن يقال « الصيدنة » من الصيدناني بالنون ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net